المبحث الثاني

التأصيل التأريخي للتثمير في الوقف النقدي

ويشتمل على:

المطلب الأول: تأريخ نشأة الوقف النقدي.

المطلب الثاني: خصائص الوقف النقدي.

المطلب الثالث: نماذج تأريخية من التثمير في الوقف النقدي.

المبحث الثاني

التأصيل التأريخي للتثمير في الوقف النقدي

سنتعرف على التأصيل التأريخي للتثمير في الوقف النقدي من خلال بيان تأريخ نشأة الوقف النقدي، مع عرض نماذج تأريخية من التثمير في الوقف النقدي.

وذلك فيما يأتي:

المطلب الأول: تأريخ نشأة الوقف النقدي:

لم ينقل لنا التأريخ أمثلة عن الوقف النقدي في زمن رسول الله ﷺ، وكذلك زمن الخلافة الراشدة، وصدر الدولة الأُموية، على الرغم من اتساع الوقف في هذه الفترة وانتشاره، فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه في شأن الصحابة: "فما أعلم أحدًا كان له مال من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالاً من ماله صدقة مؤبدة، لا تُشترى أبدًا، ولا تُوهب، ولا تُورث"(١)، حتى أدى هذا التوسع إلى نشوء ديوان خاص بالأوقاف منذ زمن هشام بن عبد الملك، إلا أن أغلب هذه الأوقاف كانت عقارًا، وبخاصة الأراضي الزراعية(٢).

ومع بداية القرن الثاني الهجري وُجدت إشارات مبكرة في الفقه

---

(١) أحكام الأوقاف للخصاف: ص٨.

(٢) انظر: "وقف النقود .. حكمه، تأريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره"، بحث للدكتور عبدالله مصلح الثمالي: ص١٥.

الإسلامي لنشأة الوقف النقدي، ومن هذه الإشارات:

١. ما رواه البخاري عن الزهري [ت: ١٢٤هـ] حين سُئل: "فيمن جعل ألف دينار في سبيل الله، ودفعها إلى غلام له تاجر يتجر بها، وجعل ربحه صدقة للمساكين والأقربين، هل للرجل أن يأكل من ربح تلك الألف شيئًا؟ ... قال: ليس له أن يأكل منها[١]، وهذا الاستفتاء والجواب عنه، يدلان على وجود تطبيق لوقف النقود منذ بداية القرن الثاني الهجري.

٢. السؤال الذي وُجه إلى الإمام مالك بن أنس [ت: ١٧٩هـ]: "لو أن رجلًا حبس مائة دينار موقوفة، يسلفها الناس، ويردونها على ذلك، جعلها حبسًا، هل ترى فيها الزكاة؟ قال: نعم، أرى فيها الزكاة"[٢].

٣. نقل الميموني[٣] عن الإمام أحمد بن حنبل [ت: ٢٤٠هـ]: رجل وقف ألف درهم في السبيل. قال: إن كانت للمساكين فليس فيها شيء (أي: من الزكاة)، قلت: فإن وقفها في الكراع والسلاح؟ قال: هذه مسألة لبس واشتباه[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب وقف الدواب والكُراع والعُروض والصامت، ٣٩٨/٢.

(٢) المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، رواية سحنون: ٣٨٠/١.

(٣) الميموني: هو عبد الملك بن عبد الحميد بن مهران الميموني، فقيه حنبلي، جليل القدر، كان سنه يوم مات دون المائة، وكان الإمام أحمد يكرمه ويفعل معه ما كان لا يفعله مع غيره. [انظر: طبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلي: ٩٢/٢-٩٨].

(٤) مجموع الفتاوي لابن تيمية: ١٢٩/٣١.

٤. ومن الأمثلة النادرة للوقف النقدي: ما نقله الدسوقي عن البليدي[١]، قال: "كان في قيسارية فاس ألف أوقية من الذهب موقوفة للسلف، فكانوا يردونها نحاسًا، فاضمحلت"[٢].

٥. بالإضافة إلى ما نقل عن زفر من القول بجواز وقف النقود، وقد أشرت إلى ذلك عند الحديث عن التأصيل الشرعي للوقف النقدي.

مما سبق يتضح وجود تطبيقات للوقف النقدي منذ القرن الثاني الهجري، إلا أن الظاهر أنها تطبيقات قليلة ونادرة الحدوث، بدليل ندرة الأمثلة المنقولة عنها.

ثم إن تطبيقات الوقف النقدي بدأت تشيع وتبرز في العاصمة الأوربية الأولى للدولة العثمانية (أدرنة)، في القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي، حتى قيل فيه: إنه يمثل ثورة في الفقه الإسلامي المتعلق بالوقف، كما أنه يمثل الإسهام العثماني في الحضارة الاسلامية[٣].

---

(١) البليدي: هو محمد بن محمد بن محمد الحسنى التونسى المالكى المعروف بالبليدى: عالم بالعربية والتفسير والقراءات.

مغربي الأصل، سكن القاهرة وتوفى فيها سنة ١١٧٦هـ، من كتبه "تكليل الدرر" في فقه المالكية [انظر: الأعلام للزركلي: ٦٨/٧].

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لابن عرفة الدسوقي: ٧٧/٤.

(٣) انظر: "المردود الخيري للربا: الخلاف حول وقف النقود في الدولة العثمانية" بحث لجون ماندفيل: ص٢٠٦، والوقف في العالم الإسلامي ما بين الماضي والحاضر للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٣٩.

ثم تلاشى الوقف النقدي بعد انهيار الدولة العثمانية في كثير من الدول التي عرفته، حتى بعثت فكرته من جديد في أواخر القرن التاسع عشر، فأصدرت المؤسسات الدينية في بعض البلدان الإسلامية الفتوى بجواز الوقف النقدي، حيث أصدر مجلسا الإفتاء في كل من أندونسيا وماليزيا، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي الفتوى بجواز الوقف النقدي، وبدأت في بعض البلدان الإسلامية إنشاء المؤسسات التي تهتم بالوقف النقدي، وعقدت المؤتمرات والندوات لإحياء الوقف النقدي وتفعيله(١).

المطلب الثاني: خصائص الوقف النقدي

تميز الوقف النقدي بخصائص جعله يتفوق على الوقف العقاري، مما أكسبه مرونة في التثمير، ومن أهم هذه الخصائص:

١. الوقف النقدي أكثر قابلية من غيره لقيام الوقف المشترك أو الوقف الجماعي، وهو اليوم أكثر ملاءمة من الوقف الفردي، كما أنه أكثر أهمية منه؛ لعظم ما يوفره من موارد وأموال وقفية تمكن من قيام المشروعات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة.

٢. تعظيم رأس المال، وهو مقوم معتبر لقيام مشاريع وقفية كبرى، وأكثر سعة وفعالية، مما يساعد على دخول الأوقاف مجالًا أوسع

---

(١) انظر: "تمويل وقف النقود للمشاريع متناهية الصغر في مؤسسات التمويل الإسلامي" رسالة دكتوراة لمحمد سالم بخضر: ص٩٣-٩٤.

من الأنشطة الإنتاجية.

٣. سهولة إنشاء الوقف النقدي؛ لقيامه على النقد، الذي يمتلكه أغلب الناس، ويمكن بذل القليل والكثير منه، بخلاف الأراضي والعقارات التي قد لا يسع الكثيرين وقفها.

٤. إن الوقف النقدي يتسم بتنوع وتعدد طرق وأساليب ومجالات تثميره، وتزايد عائده.

٥. يعد الوقف النقدي أكثر تمشيًّا مع ما يشيع اليوم في عالم التمويل.

٦. إن الوقف النقدي لا يؤدي إلى تجميد الثروة وحبسها عن الجريان، بخلاف وقف العقار[١].

المطلب الثالث: نماذج تأريخية من التثمير في الوقف النقدي:

إن معظم النماذج الوقفية للوقف النقدي كانت في عهد الدولة العثمانية، حيث تحول الوقف إلى مؤسسة مالية مصغرة تمول مشاريع التجار، وأصحاب الحرف بقروض ذات فائدة[٢]، تتراوح في العادة بين ١٠% إلى ١٥%، ومما أسهم في بروز هذه الظاهرة صدور فرامانات سلطانية للقضاة بإجازة الوقف النقدي استنادًا إلى ما ورد في معروضات شيخ الإسلام أبي السعود[٣].

---

(١) انظر: الوقف النقدي .. مدخل لتفعيل دور الوقف في حياتنا المعاصرة" بحث للدكتور شوقي أحمد دنيا: ص٥١٤-٥١٥، والنوازل في الأوقاف للدكتور خالد بن علي المشيقح: ص١٤٩-١٥٠، والوقف النقدي .. تأصيليه وسبل تفعيله في تمويل المشروعات الصغيرة للدكتور عبدالقادر جعفر: ص١٨.

(٢) إن القروض بفوائد محددة تدخل في الربا المحرم شرعًا.

(٣) انظر: رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين: ٥٥٦/٦، ودراسات في التاريخ الحضاري

وسنتعرف على أبرز النماذج التأريخية للتثمير في الوقف النقدي فيما يأتي:

١. وقفية مصلح الدين:

قام الحاج مصلح الدين في مدينة أدرنة[١] خلال ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، بوقف عدة دكاكين ومبلغ عشرة آلاف آقجة[٢]؛ لكي يصرف العائد منها لثلاثة قُرَّاء للقرآن الكريم في جامع كليسه، وحسب شروط الواقف، فقد كان العائد يتحصل من تأجير الدكاكين، وإقراض المال بربح محدد ١٠%[٣].

٢. وقفية بلبان باشا:

أسسه بلبان باشا في أدرنة سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٢م)، ضم عدة دكاكين بالإضافة إلى ثلاثين ألف آقجة؛ لكي تسلف بربح سنوي قدره ١٠%، ويخصص العائد منها؛ للإنفاق على جامع ومطبخ لإطعام الفقراء، ومدرسة بناها في غاليبولي[٤].

=

للإسلام في البلقان للدكتور محمد الأرناؤوط: ص ٣١، ٣٦.

(١) إحدى مدن تركيا في إقليم تراقيا، وتقع في أقصى الجهة الشمالية الغربية من الجزء الأوروبي للجمهورية التركية، بالقرب من حدود بلغاريا واليونان.

(٢) آقجة: عملة عثمانية فضية، سكها السلطان الغازي أورخان سنة ١٣٢٧م. [انظر:"المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية" بحث للدكتور محمود عامر: ص٣٢٦].

(٣) انظر: الوقف في العالم الإسلامي ما بين الماضي والحاضر للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٢٧، ٣٩، ودراسات في التاريخ الحضاري للإسلام في البلقان للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٤٠.

(٤) انظر: المردود الخيري للربا: الخلاف حول وقف النقود في الدولة العثمانية لجون ماندفيل:

٣. وقفية محمد باشا دوكاجين:

فقد أسسه في حلب في سنة ١٤٦٣م بقيمة ثلاثين ألف دينار سلطاني، وتشغل كقروض للتجار مع ربح محدد حسب الوقفية هو ١٠%، ويعد هذا الوقف أول وقف من هذا النوع في حلب(١).

٤. وقفية الوالي أحمد باشا:

فقد أسسه في ١٥٩٧م، يضم عشرة آلاف دينار سلطاني؛ لتشغيلها بربح ١١%، وتنفق من غلة الوقف على مكتب لتعليم الأطفال(٢).

٥. وقفية سنجق القدس فروخ بك:

أسسه أمير لواء/ سنجق في القدس سنة ١٥٦٤م، يضم ستة عشر ألف درهم؛ لكي تسلف بربح سنوي ١٥%، وينفق العائد منها على عشرة قُرَّاء للقرآن الكريم في الحرم الإبراهيمي، ويعد هذا الوقف أول وقف نقدي أُسس في القدس(٣).

٦. وقفية مصطفى حلبي:

أسسه في حلب خلال محرم ٩٧٨م، تضمن وقف عشرين ألف دينار سلطاني، يشغل نصفها في حلب بربح قدره ١٠%(٤).

=

ص١٧٦، والوقف في العالم الإسلامي ما بين الماضي والحاضر للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٢٧، ٤٠.(غاليبولي: بلدة في مقاطعة ليتشي في إقليم بوليا في جنوب إيطاليا).

(١) انظر: والوقف في العالم الإسلامي ما بين الماضي والحاضر للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٤٢-٤٣.

(٢) انظر: نهر الذهب في تاريخ حلب لكامل الغزي: ٢/٧٣.

(٣) انظر: الوقف في العالم الإسلامي ما بين الماضي والحاضر للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٤٤-٤٥.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ص٤٣.

٧. وقفية شاهدار زوجة خسرو بك:

فقد أسست وقفًا حوالي سنة ١٥٥٠م، يضم مائة ألف آقجة، مع ربح سنوي ١٠%، وخصصت العائد منه؛ للإنفاق على جامع في سراييفو ومدرسة في جواره لتعليم الأدب والقرآن لصبيان الفقراء(١).

٨. وقفية درويش آغا:

أوقف درويش آغا مائة وثلاثين ألف آقجة في موستار سنة ١٥٩٣م، (وموستار حاليًّا مدينة مهمة بالبوسنة والهرسك، وتُعد العاصمة الثقافية لمنطقة الهرسك)، وتشغل كقروض للتجار المعروفين بالسلوك الجيد وعدم المماطلة في الدفع مقابل ربح قدره ١٠%.

وينفق ريعه على الجامع الذي بناه الواقف في موستار، كما أنشأ درويش آغا وقفًا نقديًّا آخر قدره ستة وثلاثون ألف آقجة تنفق لأفضل من يشرح مثنويات جلال الدين الرومي من أهالي موستار(٢).

٩. وقف كاتشانيك:

يرجع الفضل لسنان باشا في إنشاء عدد كبير من المجمعات الوقفية في القارات الثلاث التي كانت تنتشر فيها الدولة العثمانية.

---

(١) انظر: دراسات في التاريخ الحضاري للإسلام في البلقان للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٤٢، و"وقف النقود ودوره في النهوض بالتعليم ما بين الماضي والحاضر" بحث للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٤.

(٢) انظر: دراسات في التاريخ الحضاري للإسلام في البلقان للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٤٧-٤٨.

ويعد وقف كاتشانيك نموذج من الأوقاف النقدية التي أنشأها سنان باشا عام ١٥٨٦م، فقد أسهم في نشوء مدينة كاتشانيك (وهي حاليًّا مدينة من مدن كوسوفو)، حيث تقع في المضيق الذي يحمل هذا الاسم (مضيق كاتشانيك)، وهو مضيق عسكري تجاري مهم.

حيث قام سنان باشا ببناء حصن صغير في مدخل المضيق؛ ليكون مقرًا لحامية عسكرية، وبنى في الجوار وقفًا كبيرًا يتألف من نواة عمرانية متكاملة، تشتمل على جامع ومدرسة للأطفال وعمارة (تكية لإيواء أبناء السبيل، وتقديم الوجبات المجانية) وحمامًا، وخانين، وتحول هذا المجمع العمراني بالتدريج إلى نواة لمدينة تقر لسنان باشا بلقب المؤسس، وهكذا بعد أن كان هذا المضيق المقفر مصدر إقلاق، أصبح مصدر استقرار[١].

١٠. وقف عيسى بك:

هو وقف نقدي أنشأه عيسى بك، وقد أسهم في تأسيس مدينة سراييفو عاصمة البوسنة، حيث بدأ عيسى ببناء جامع باسم السلطان محمد الفاتح، وكان النواة الحقيقية لمدينة سراييفو، ثم بنى حمامًا قرب الجامع، ثم بنى جسرًا وخانًا وزاوية لنزول الفقراء وأبناء السبيل، وهذه النواة العمرانية قد نمت بسرعة، لتتكون مدينة سراييفو التي غدت المركز الأشهر في البوسنة، ومن أهم مراكز الثقافة الإسلامية في البلقان[٢].

---

(١) انظر: الوقف في العالم الإسلامي ما بين الماضي والحاضر للدكتور محمد الأرناؤوط: ص٩٣-٩٥.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ص١١٠-١١٤.

مما سبق يتضح أن الوقف النقدي شارك فيه الرجال والنساء، كما ارتبط في الغالب بالشخصيات الرومية، وكان يغلب عليه التثمير من خلال القروض مقابل ربح محدد، وكذلك أسهم الوقف النقدي في نشوء مدن جديدة كانت مصدر إشعاع للحضارة الإسلامية.